

لماذا التراث العربي ، وحركة بعثه

الدكتور عبد الله الجبري

كثر الحديث عن التراث العربي ، فكتب فيه الدارسون ما جادت به قرائحهم ، وأفتى في وجوده أهل الفتيا من رجاله ، وما زالت الاقلام تجول في عوالمه - ومن فساح رحاب - وهو بحق ، ركيزة قوية من ركائز النهضة الحديثة ، وأهميته كبيرة في التطور الحضاري الذي شهدته الحضارة العالمية .

فما هو التراث ؟ وما هي حقيقته ؟ . . وهل نأتي بجديد فيه ؟ هذه سؤالات أحاول الاجابة عليها في كلمتي هذه . . .
أصل مصطلح التراث :

ورد في : (لسان العرب) : ان الارث : الاصل ، والارث ، الميراث ، وأصل الهمة فيه واو . . وهو على ارث من كذا ، أى : على أمر قديم توارثه الآخر عن الاول

والارث من الشيء : البقية من أصله ، والجمع : ارث ، . . وهو (التراث) من ورث ، مثل : نخمة من الوخامة ، وتكلة من التكلات (١) . .

ثم كان مصطلح : (التراث العربي) . . الذي يمكن تعريفه : بكل أثر قديم وصل الينا من السلف ، مما ابتدئته قرائح النابغين من مفكريهم ، وتنسحب لفظة (التراث) على : الاحجار والاشخاب والنصب والالواح . . . وعلى كل ما يتصل بنتاج مفكرى العرب منذ أن عرفوا الحضارة . . والى القرن الحاضر ، فالتراث حلقة واحدة تصل القديم بالحديث . . وهذه المواد كلها تراث ، ومن هذا المنطلق يجوز لنا أن نعد كتب (العلوم الانسانية) كاللغة ، والاداب والفقه ، والشعر ، والتاريخ ، والقانون ، والادارة . . . وما اليها ، جزءا من كل ، وليست هي التراث كله . . .

(١) ينظر : لسان العرب ٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ج ١ / ٥١٩ ، وتفسير الغريب ٥٢٧ ، وتفسير الطبري ٣٠ / ١١٧ ، والقرطبي ٢٠ / ٣٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٧١ ، والمعجم الكبير ١ / ١٨٣ .

والتراث العربي ، غني بمعطياته الحضارية البعيدة المرامي ، أفاد منه العالم قديماً وحديثاً ، وتحدى الكوارث والمحن ووقف نداءً للزمن . . يزهو بأفانيه ، ما بقيت (العربية) إذ هي وعاءه ، ولغته الخالدة . .

أما متى عرف هذا المصطلح (التراث العربي) . . فلا يمكن حصر زمنه ، ويبقى الخدس ، والتخمين يفتي في وجوده عند القدامى . . الا انه من المحتمل أن تكون معرفته متصلة بالعصور التي نهدت فيها جهود علماء (المشرقيات) في أوروبا لنشره

حينما بدأ هؤلاء بالانكباب على كنوزه متنخلين لعيونه ، مختارين جواهره ، فنشروا ما أفادهم في قيام حضارتهم الحديثة التي هي استمرار لحضارة العرب . . .

ومن هنا يتحتم علينا رفض الرأي الذي جرى عند جمهرة من المعنيين به ، وهو : ان الأدب والشعر ، بوجه خاص ، هو التراث بعينه . . .

وربما يمكن تعليل هذا المعتقد عندهم بما هذا رسمه : ان النهضة الادبية (الشعرية) التي انطلقت من مصر على يد الرائد العظيم محمود سامي البارودي المتوفى سنة ١٩٠٤ م ، كانت بداية الحركة لهذا المعتقد ، . . .

وصحيح ان البارودي ، نهض بتجديد أساليب الشعر العربي ديباجة وأسلوباً ، وهو بحق - باعث المجد الشعري للعرب - وكان من مدرسته شعراء العربية في مصر والعراق والشام . . ثم بدأ باختيار عيونه ، (بمختاراته) الجهرية . . وكذلك لا يمكن اغفال الحركة الفكرية التي ذر قرنها في بغداد على يد الامام السيد محمود شكري الالوسي المتوفى سنة - ١٩٢٤ م . . الذي غرس في نفوس طلابه حب العرب والعربية ، وحب اليهم تراثهم الأدبي ، ثم طفق هؤلاء الطلاب ، باذاعة مآثر العرب الفكرية ، نشرها ودراسة ، مقتصرين على الجانب (الادبي منها) . . . ثم كانت (مناهج الدراسة) في المدارس الرسمية وهي تعج بدراسة الشعر العربي قديمه وحديثه . . ابتداء من امرئ القيس . . وانتهاء بالرصافي . .

ثم قيض الله للامة - في عصرها - الحديث ، جمهرة من أرباب المعرفة ، والفضل ، تنبّهت الى ضرورة رسم معالم الطريق لأبنائها ، وهم يصاولون الدخلاء - فكراً ووجوداً - فنهدت الى (بعث) طائفة من أصول التراث العربي - وبخاصة ما يتصل بالجانب الانساني منه - أمثال ، كتب الفقه الاسلامي ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والتاريخ ،

والشعر ، والادب . وكانت مطابع الشام (بمصطلحه الجغرافي القديم) والاستانة (الجواثب) وغيرها ، وبولاق ، وتونس ، وبغداد ، والهند ، وليدن ، وبرلين تقذف بروائع هذه الأصول . . .

كما كان لوجوده أعلام الفكر في القاهرة ، أمثال : محمد عبده . والافغاني ، وفي الشام . أمثال : القاسمي ، طاهر الجزائري . عبدالرحمن سلام ، محمد كرد علي ، عبدالقادر المغربي . وآل اليازجي . وآل البستاني ، وآل المعاوف ، وفي بغداد . . الاسرة اللوسية . . اثره الكبير في تأجيج شعلة الوعي عند ابناء الامة ، ومن خلال (بعث) تراثهم ، وتعريفهم اليه

ومن هنا وقر في أذهان طائفة من المشتغلين بالتراث العربي ، ان هذا اللون -- وحده -- هو التراث كل التراث . . وتأتي بعد هذه الطبقة ، طبقة اخرى من المثقفين ، استطاعت ان تتعرف الى (التراث العربي ، العلمي والانساني) بفضل ثاقب بصائرهم : الذي اخترقوا الآفاق بواسطته . . ولا ننسى جهود (المستشرقين) الذين أخلصوا للتراث ، حصة لوجهه ، وهم قلة . . في نماء العناية به ، من قبل العلماء العرب

ولا يصح نسيان مكارم (علماء الهند المسلمين) الذين أخلصوا لهذا التراث ، اخلاصا عجبيا . تعدى كل طور . . حتى تسكنوا من اقامة (وزارة تعنى بنشره) وكانت جمعية العلماء . . . ودائرة المعارف الاسلامية في (دلهي) ، وفي (حيدرآباد - الدكن) . . حيث انطلقت جمهرة كبيرة من عيون التراث العلمي العربي . . أمثال كتب : الرازي والحسن بن الهيثم ، وابن سينا . وثابت ابن قرة . والخازن وغيرهم . . . ومثل هذه المؤسسات العلمية في الهند قام (المجمع العلمي العربي بدمشق - مجمع اللغة العربية) ، و (مجمع اللغة العربية في القاهرة) والمجمع العلمي العراقي . وغيرنا من المرافق العلمية العربية

مميزات التراث العربي :

لبعض الأمم العريقة ، تراث ، كالهنود ، واليونان ، والصين ، والفرس ، . . ومثلهم العرب . . . الا ان للتراث العربي مميزات : اختص بها . فخلد وبقي دون سواه من تراث الأمم الاخرى . . . وبعض هذه المميزات هي :

١ - السعة والشمول

٢ - الانسانية

٣ - المنهجية العلمية الباهرة .

٤ - خلوده (أو الحيوية وسمة التطور المستمر)

١ - السعة والشمول :

وهما سمتان عرف بهما تراث العرب ، فقد توزعت جهود علماء العرب في شتى مناحي الفكر الانساني ، حيث جالت عبقريتهم في صنوف المعرفة الانسانية ، فكتبوا في الطب ، والفلك ، والهندسة ، والتاريخ . والسياسة ، والادارة ، والفنون الحربية ، والكيمياء والفيزياء ، والادب ، والجغرافية ، والحيوان ، والنبات ، والصيدلة ، والميكانيك (علم الحيل) ، وغيرها من المعارف الانسانية ولم يغفلوا التأليف في أى جانب من جوانب الحضارة . . مما حدا بمؤرخ حضارى منهم ، أن يعد فنون ما التقوا فيها : نيفا وثلاثمائة فنا ، فهذه السعة ، وهذا الشمول للحضارة العربية ، جعلت منها حضارة خالدة . . . تميزت بهما عن حضارات الأمم الاخرى

٢ - انسانية التـراث :

لم يعرف تأريخ الحضارات العالمية : حضارة اتسمت بالروح الانساني الخالص ، كالحضارة العربية

هذه الحضارة التي لم تقف عند لون ، ولم تقتصر على جنس ، ولا تختص بفئة دون أخرى . . . انما تخطت هذه (الفوارق) . . . واستقرت في رحاب البشرية ، قامت لأجل خدمة الانسان ، أيا كان لونه ، وجنسه . . . حيث لم يؤثر عن أحد عن علماء العرب ، قول أو فعل فيه وسم من مباسم (الاقليمية او العنصرية) . . ونحوهما . . . خدموا العلم لوجه العلم

٣ - المنهجية العلمية البارعة :

عرف علماء العرب ، المنهج العلمي ، حيث قاموا باجراء التجارب و(الكشوف) العلمية بأنفسهم ، ورصدوا المآثر على ما يريدون (اختباره) . . . والمنهج العلمي الحديث مدين لهم ، شاء أم أبى المرجفون والمتشككون

فعلماء الحيوان . . . بدءا من الجاحظ وانتهاء بالدميرى . . . كانوا يألفون عالم الحيوان ، على ما فيه من خطر . . . في سبيل الوقوف على تدوين ما يذهبون اليه من رأى وليس أدل على ما نذهب اليه من معايشرة الجاحظ للفاعي حيناً من الدهر

في صحارى البصرة . ولسنين طويلة . حتى يسجل بنفسه ما يراه من أمرها . . . ومثله علماء النبات . . . ورجال الطب ، والصيدلة وغيرهم . . .

٤ - خلُوده :

هذه الصفات التي تحلى بها التراث العربي : اكسبه الخلود ، وظل يصارع الزمن ، وهو اليوم شامخ يتحدى الخطوب . . . وميزة خلُوده . . . لم يعرفها تراث آخر من تراث الأمم الأخرى . . صحيح ان بقاء تراثهم معروف اليوم . . الا ان اهميته للحضارة الانسانية المعاصرة ليست بشيء ، اذا ما قورنت بأهمية التراث العربي لها . . فما زالت الحضارة الانسانية تستمد من ينابيعه ما هو نافع وجديد ، ولو (تاريخياً كالطب مثلاً) فهذه الاصاله التي تتمتع بها التراث العربي ، جعلته يحتفظ بديمومة خالدة ، وهو ما ندعوه الان (بالمعاصرة)

موقفنا حيال التراث :

قد يرد سؤال في خاطر أحدنا ، ما جدوى التراث العربي اليوم ، والحضارة الاوربية تكاد تزحف الى اوجها

وهذه السؤال وارد حقاً ، الا ان (حيوية) التراث العربي تجعل منه رافداً ثرا لكل عصر . . . وفيه جوانب كثيرة لم تكشف بعد لانسان القرن العشرين . .

لذا يتوجب علينا ان نبذل الوسع في (بعث) هذا التراث لنفيد منه . . نحن العرب— اولاً ، ولتنفيد منه الحضارة الانسانية ثانياً . . . على الرغم من افادتها منه كثيراً ، وكان دعامة قوية من دعائم قيامها

أما سبل بعثه : فيمكن حصرها في المواد الآتية : —

اولاً :

عملية التجميع :

وأعني بذلك ، ان تتوافر الجهود على الملئة شتاته من جميع مكاتب العالم وحصره في مؤسسة واحدة . على غرار ما هو موجود في (معهد المخطوطات العربية) التابع الى جامعة الدول العربية .

وهذه الخطوة ، هي من أهم خطوات عملية (البعث) خاصة . اذا عرفنا

ان عدد المخطوطات العربية ينيف على الثلاثة المليون مخطوطا ، موزعة في مناطق شتى من العالم وان كان قسم كبير منها مكرر او منشور

ثانيا :

الانتقاء :

وأعني بها ، بدأ عملية ، الخبرة والتفتيش عدن يجدر نشره من هذا السيل العرم من المخطوطات

ويمكن ان اتجه المسم الى نشر المظان والاصول اولا ، ثم نشر (الفروع) ثانيا والاهم فالمهم وهكذا

ثالثا :

عملية النشر :

وهذه العملية من أصعب عمليات (بعث) التراث ، حيث انها تتطلب ايجاد المحقق الحصيف الذى يخدم التراث بنشره للأثر ، ويكون عمله أنموذجا للآخرين ، والتخصص شرط أساس في (فن التحقيق) . . لأن لكل علم مصطلحاته وفنونه

العزوف عن التراث عند الجيل العربي الحاضر :

انه من نافلة القول التأكيد على (سقم) المناهج التربوية التي غرست الشك ، والنفور من التراث العربي ، ومحاولة طرحه من قائمة المواد الثقيفية ، وهذه المناهج ، صنعتها عقول (المستشرقين السمر) وأعني بهم العرب الذين عشقوا الحضارة الغربية وناصبوا العداء للحضارة العربية

ونشأ عن هذا : —

١ — خلو التعليم في معاهدنا التربوية والعلمية من التأكيد على التاريخ للأمة . . . ويندرج تحته (التاريخ القومي) التاريخ الحضارى للأمة ، وما قدمه العرب للعالم من حضارة وعطاء فكرى . . . اللهم الا لمحات تدرس في الكليات (الانسانية) في بعض جامعات الوطن العربي . . . وما يبيته بعض الاساتذة ، الذين عرفوا التراث العربي ، وخبروا أصالته : حيث راحوا ينشرون أهميته في صفوف تلاميذهم

٢ — جهل المحققين وأعني به ، (عشوائية) نشر التراث ، حيث طفق جمهور

ممن يتوهم العلم بالتحقيق ونشر النصوص القديمة ، في نشر مخطوطات لا أهمية لها ، ونشرها يضر بالتراث ، ويمكن ان يكون سببا مهما من اسباب العزوف عن التراث ورميه بالعقم حيث ان بعض هؤلاء ، اخذوا انفسهم بنشر جوانب معتمدة من التراث العربي ، وفيه كما في غيره من تراث العالم ، جوانب معتمدة ، وهذه سنة الحياة والتطور الفكري للبشر . . فقدموا للجيل الحاضر اندوذجات سبئة منه ، وغفلوا عن الرياض الموفقة من اصالته وبديع ما أبدعته قرائح العلماء العرب

٣ — أسلوب التحقيق ولهذا السبب مكانة ذات خطر . تكمن في قابلية المحقق نفسه وهو الذى يمكن ان يجلب الاقبال على الاثر المنشور . او العزوف عنه ، فيما يتبعه من أسلوب في العمل . والسبيل التي ينتهجها في (عمله) وليس (تسويد) الصفحات البيض بهوامش ثقيلة دخيلة على (النص) من (التحقيق العلمي) بشيء .

والتحقيق في مبادئه وأصوله : نشر (النص) بالصورة التي وضعها مؤلفه او تقرب منها . . ثم يخدم هذا النص بشيء من التعاقب الوجيز الذى يقدم معرفة ، ويزيل لبسا ، أو يفك مغلقا .

وقد شدني الاعجاب الى مقولة للاستاذ أمين الخولي (ت - ١٩٦٦ م) في تعريف (التحقيق) و (المحقق) . . . وهي — بحق — دليل منهج ومفتح عمل

يقول الاستاذ الخولي : « التحقيق ، من حق الشيء بمعنى ثبت . . فهو بمادته وصيغته تثبت لشيء ، وتحقيق النص المخطوط هو : اثبات حقيقة ، أى — صورته التي صور به كاتبه ، وخرج بها من قلمه .

والمحقق : هو من يلقي دنيا المعرفة بنص ، لم يتلق عن مؤلفه التلقي المشافه ، أو التلقي الكاتب الذي تتصل سلسلة تداوله على الاجيال ، لتحقيق له الامانة الناقلة فالمحقق بهذا راو ، يروى وينقل نصا ، يغلب على ظنه انه هو النص الذى كتبه من نسب اليه ، كما كتبه صاحبه ، أو عنه بأمانة ناقلة . » (١)

ومن بديهيات القول : ان فن التحقيق ، عربي المنبت والاصول نشأ عند (علماء الحديث) واستوى علما قائما بنفسه ، وهو ما يطلق عليه عندهم اسم « الراوية والدراية » . .

(١) أمين الخولي ، في سبيل المنهج ، مفاهيم مهزوزة . ص : ١٨ ، مجلة (المجلة) العدد ٨٣ ، السنة ٧ ، نوفمبر ١٩٦٣ م .

ثم انتشر عند المشتغلين باللغة والتاريخ . . . وليس هو من « اضافات المستشرقين » . . .
كما يذهب الى هذا بعض الجهلة . . . من العرب ومن غيرهم . . .

وما مسألة (التعليق) و (الهوامش) الا أنموذج للتحقيق عند العرب . في أصوله
الاولى

موقف الثورة العربية من التراث العربي :

لعل من أقول اسباب قيام الثورة العربية ، حمايتها للتراث ، من حيث تدرى ولا تدرى . .
اذ لا وجود للأمة بلا تراث . . ولا حاضر بلا ماض . . وهي بذلك قامت لتصنع الحاضر
الذى يجب ان ازدهار المستقبل في احشائه . . .

و (للبعث) موقف رائع من التراث العربي . . تجلى في كثير من وجوه تأريخه . .
حتى انه اطلق على اسمه في بداياته : اسم (حركة الاحياء) أى : إحياء الحضارة
العربية ، وبعث الأمة من جديد ، لتشارك في حضارة الانسان المعاصر

وقد اولته قيادتنا السياسية للثورة والحزب ، عناية رائدة . . فأفرده بالتنوية ،
والاشارة في أكثر من حدث ومناسبة . . وخصته بشيء من التجلية والاكبار في (سناهجها)
السياسية والحزبية . . كما ورد في (التقرير السياسي للمؤتمر القطرى الثامن للحزب) . .
كما استقر تأكيداً عميقاً في أحاديث وخطب الرئيس القائد البكر ، ولا أدل على ما اذهب
اليه ، دعوته الى تخليص التراث من الشوائب ، التي اندست فيه . . ومن ذلك قوله :
« اننا في حزب البعث العربي الاشتراكي ، وفي ثورة السابع عشر من تموز ، لانظر الى
التراث ككتلة جامدة . . ولا نعامله ككنز للحفظ والمباهاة . . وانما نحن نؤكد قيمته
التاريخية ، ننظر اليه كقيمة قومية ، وثروة كبيرة في حياتنا المعاصرة » . . . (من
حديث الرئيس القائد في مهرجان الفارابي ، ١٩٧٥ م - بغداد)

اذن . . فهذا التراث العتيذ الذى : « يحفل بالمنجزات الملهمة في جميع الميادين
السياسية والعسكرية والفلسفية والادبية والفنية ، يعزز القوة المعنوية للامة وثقتها بنفسها
في نضالها المشروع ضد الامبريالية والصهيونية والتخلف . . » . (من حديث للرئيس للبكر
ايضا)

ولا ننسى الدراسات الفكرية التي تكفلت بدرس التراث ، وتعريفه الى الجيل العربي . .
والتي نهد الى وضعها ، قادة (البعث) . . وبخاصة دراسات الاستاذ ميشيل عفلق . .

وربما من أجلها وآخرها أيضا ، دراسته التي نشرت في بغداد باسم : « البعث والتراث » . . . وهي تمثل نظر الحزب الى التراث العربي . ومثلها دراسة الدكتور الياس فرح التي نشرتها جريدة (الثورة) البغدادية (في العدد ٢٤٣٢ ، ١١ - ٧ - ١٩٧٦) (الصفحة الثقافية ، محاور رئيسية في التراث) .

هذا من الناحية (النظرية) . . أما من الناحية (الفعلية) . . . فقد قامت حكومة الثورة بحماية التراث وعملت على بعثه ، واتخذت الوسائل التالية : -

١ - تشريع قانون حماية اللغة العربية ، وهو قانون يذكره تأريخ النضال للأمة بفخر واعتزاز . . وذلك في سنة ١٩٧٧ م (قانون حماية اللغة العربية الرقم ٥٣٢ في ٢٨ - ٤ - ١٩٧٧) (قانون رقم ٦٤ لسنة ١٩٧٧ م) باعتبار اللغة وعاء للتراث . . وهي التفاتة بارعة ، حرية بالتسجيل والدعم .

٢ - انشاء المراكز التراثية ،

كما هي الحال في قيام (مركز احياء التراث العلمي العربي) التابع الى جامعة بغداد ، الذى أخذ على عاتقه نشر التراث العلمي العربي وله منشوراته ، ومجلته وقد صدر عددها الاول . . واليك تعليماته كما وردت في علة تشريع قانونه ، ونشرت في العدد الاول من مجلته : « التراث العلمي العربي » : . . . ويكون قيام هذا المركز سابقا لقيام اى مركز من نوعه في الوطن العربي يستهدف المركز بالدرجة الاولى احياء التراث العلمي العربي والاستفادة منه في النشاطات العلمية الحديثة . وتتلخص أهدافه بالنقاط الآتية :

١ - بعث التراث العلمي العربي ، وذلك عن طريق تحقيق ونشر المخطوطات والرسائل العلمية ذات الصلة بالانشطة العلمية المختلفة والعمل على ترجمة امهات المراجع والابحاث المنشورة مما يتعلق بالتراث العلمي العربي لتوفيرها للباحثين والمهتمين بشؤون التراث وتعضيد حركة احياء التراث في القطر ثقافيا وماديا .

٢ - تجميع التراث العلمي العربي في مكتبة خاصة تضم المخطوطات والرسائل التي لم تنشر بعد ، والكتب والدراسات التي نشرت حتى الان لتكون في متناول ايدي الباحثين والمهتمين بشؤون احياء التراث العلمي العربي .

٣ - الاتصال بالمراكز العلمية والمتاحف والجامعات والمكتبات المهتمة بالتراث العربي

وتنسيق العمل معها والاستفادة من خبراتها وما تحتفظ به من مخطوطات وكتب عربية ذات صلة باحياء التراث العربي واستزارة المستشرقين الثقافات . .

٤ - اقامة مؤتمرات وطنية واقليمية عربية ومؤتمرات دولية والمشاركة فيها من اجل ربط التراث العلمي العربي بالواقع العلمي المعاصر وكشف الابداعات العلمية التي ساهم بها العلماء العرب في العصر الوسيط واثار هذه الابداعات في التطور العلمي الذي شهده اوربا في العصر الحديث .

يتناول المركز في سبيل تحقيق مهمة احياء التراث العلمي العربي حقول بالدراسة والبحث هي : -

- ١ - الدراسات العلمية البحتة والتطبيقية .
 - ٢ - الدراسات الطبية والصيدلانية .
 - ٣ - الدراسات الهندسية والمعمارية .
 - ٤ - الدراسات الانسانية (الاجتماعية ، والاقتصادية ، والقانونية ، والنفسية ، والفلسفية) .
- وكذلك انشاء (قسم - مركز) تحقيق المخطوطات التابع الى كلية الاداب في الجامعة المستنصرية

٣ - انشاء الجمعيات والاتحادات :

ولهذه المرافق الثقافية رسالة خطيرة ، اذ انها تقوم باذاعة مفاهيم تراثية في صفوف المواطنين . . كما هي الحال في قيام : (جمعية التراث العربي الاسلامي) في بغداد ، التي طفقت بنشر مآثر السلف ، وتعريف الجيل العربي بكنوز تراثية . . . واتخذت من اسلوب (المحاضرات والندوات) سبيلا الى تحقيق غايتها النبيلة . . ثم قامت مجلتها (مجلة احياء التراث العربي الاسلامي) منبرا حرا لنشر افانين من عيون تراثنا العظيم . . وهي تغذ السير في عامها الاول ومثلها ايضا : -

اتحاد المؤرخين العرب ، وجمعية الآثاريين والمؤرخين العراقيين ، وجمعية التراث العربي في الموصل ، وجمعية الخطاطين ، واتحاد الكتاب والمؤلفين العراقيين ، وغيرها

كما دعمت المؤسسات العلمية التي جعلت لنشر التراث نصيبا عظيما في مجال منشوراتها مثل :

وزارة الاعلام ، وفيها (سلسلة كتب التراث) وقد تمكنت من نشر طائفة كبيرة من آثاره . . . ووزارة الاوقاف ، وفيها (سلسلة احياء التراث الاسلامي (١)) . . والمجمع العلمي العراقي ، والجامعات العراقية ، التي اخذت على نفسها نشر ما تيسر من كتب التراث والدراسات المتعلقة بموضوعاته لاعضاء (هيئتها التدريسية)

موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من التراث :

لقد أسلفت – قبل قليل – ان البعث انطلق في حركته الثورية وايدولوجيته الانقلابية من مفهوم علمي منهجي للتراث ، اذ هو : « الماضي الحي ، الذي يعكس فضلا عن الخلفية الحضارية للمجتمع ، الاستعداد المتجدد في الامة لتجاوز نفسها باستمرار . . » .

وقد تميزت نظرة البعث الى التراث باستنادها الى مفهوم علمي ثوري ، ومنهج جدلي تاريخي ، جعل زاوية النظر التي اطلت منها الايدولوجية العربية الثورية على التراث العربي تتسع لجميع أبعاده ، وتنفذ الى كافة جوانبه ومضامينه (٢) .

وهو (التراث) أثنى شيء في حياة الامة العربية ، وهو احد مقومات فكر الحزب ، وهو داخل في حاضرها ، مؤثر في تربيتها ، في تكوين شخصيتها في عواطفها وأفكارها في آمالها وتطلعاتها . .

وقد جعل الحزب من شروط نجاح الثورة العربية ، تعلقها بتراث الامة ، فهي فاشلة ان لم تتعلق به . . . قال القائد المؤسس الاستاذ ميشيل عفلق : لأن هذه الامة ، امتزجت شخصيتها ، وكل ذرة من ذرات كيانها النفسي بهذا التراث الذي هو رسالة عظمى ، فلم نعد تقبل ما هو دون هذا المستوى ، فالثورة العربية اذا لم تستلهم التراث ، وتستلهم روح الرسالة ومستوى الرسالة فهي فاشلة (٣) .

اذن هذه هي منطلقات فكر حزب البعث العربي الاشتراكي ، نحو فهمه للتراث

(١) كنت اول من اقترح اصدار هذه السلسلة ، حينما كنت أميناً لمكتبة الاوقاف العامة ، وذلك في سنة (١٩٦٤ - ١٩٦٥) م . وقامت بوجه المقترح (صيحات الجهلة) . - فؤاد ، ثم نهضت به ثانية في سنة ١٩٦٨ م / بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ، وتمكن ، من تحقيق هذا المقترح الجليل ، حيث استطعنا نشر ثلاثين كتاباً ، جلها من عيون الفكر الاسلامي الخالد .

(٢) جريدة الثورة البغدادية (العدد / ٢٤٣٢) الصفحة الثقافية ، ١٤ / رجب ١٣٩٦ هـ - ١٠ / تموز ١٩٧٦ م (محاور رئيسية في التراث للدكتور الياس فرح) .

(٣) البعث والتراث ، ص / ٥٣ ، وينظر ص : ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٢ ،

العربي الخالد. . . . وما عداها فهي محض (تخبط) في دياجير البحث عن مكونات تراث الامة الخالدة فهي ليست منطلقات (تقدمية) سطحية عقيمة ، ولا نظرة (دينية) ترمي بالفكر القومي (عرض الحائط) وتتنكر له ، وترفض وجوده ولأهمية التراث العربي ، في (فكر الحزب) . . أن جعله من مقومات اصوله . . . وهو مصادر التكوين الفكرى البعثي ، (فالتراث القومي ، المتمثل الى جانب ما ترك لنا الاجداد من أدب وعلم وفلسفة وحضارة بحركة الحياة والتطور والثورة التي رافقت تاريخ امتنا ووصلت ماضيه بحاضره ، وديمومته بصيرورته من ملاحم البطولة والشعر الى الثورة الشاملة التي قادها الرسول العربي ، والتي وحدت الامة العربية وحررتها ودفعتها في طريق الحضارة (٤)

وقد عرف (البعث) في هذا التراث العظيم ، مدرسة للمعرفة والنضال ، ولتكوين العقل العربي المبدع ، اذا فهم فهمًا علميًا ثوريًا فالعرب الذين كتبوا في سجل التاريخ البشرى ، صفحات تنطق بتقدمهم في ميادين المعرفة . . . واستخدمهم مناهج في التفكير العلمي بحيث كانت لهم (أيدولوجية) ثورية ، متميزة تمكنوا من نقل واقعهم وواقع العالم من حال راكدة الى متحركة متموجة بالسعادة والخير (٥)

فاذا كان النضال هو صلة الوصل مع التراث ، فانه يتطلب مواقف فكرية عملية مبدعة تصعد الى المنابع الحية للتراث . اى : الانطلاق في جو العصر وأجواء النضال المعاصر من خلال قاعدة انطلاق ثابتة وحية متمثلة بمناهج الفكر والاساليب الثورية التي كانت في الماضي وراء كل ما بقي من أمجاد

وبعدا المعنى يمكن ان يكون التراث عاملا في تحقيق قاعدة انطلاق نحو اعادة بناء حياتنا القومية على اساس علمي ثورى حضارى

اذن فتعميق النظرة العالمية الثورية بهذا التراث الضخم ، وربط هذه النظرة بأهداف الامة النضالية ، جنبا الى جنب مع التفاعل العميق بالتراث الثورى العالمى والافادة من عناصره الثورية التي دفعت العالم نحو الخير والحضارة ونحن نعيش في عصر الاشتراكية ، والانبعاث الحضارى ، هو المقصود (بالمعاصرة للتراث العربى)

(٤) د الياس فرح ، في (منطلقات ص : ٤٣ - ٤٤) . . بغداد ١٩٧٧ م .

(٥) منطلقات ثقافية ، ص : ٢٢ ، ٣٢ (د. الياس فرح) .

ومن هذا المنطلق ، قررت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في القطر العراقي ، تدريس مادة (التراث العلمي العربي) في (درس الثقافة القومية والاشتراكية) لطلاب الصفوف الاولى في الكليات والمعاهد كافة ، بدءاً من هذه السنة (١٩٧٧ - ١٩٧٨) م .

ويتألف منهج هذه المادة الجديدة من المواد الآتية : —

١ — مصادر الثقافة العربية

٢ — الاصاله في الفكر العربي ، ويتضمن : (الايمان بالعقلانية والعلمية)
الفكر التأملّي اليوناني والفكر التجريبي العربي ، التجريبية في البحث عن الحقائق ،
العلم طريق لمعرفة أسرار الكون والانسان ، وحدة الكون وانتظامه دليل على
وحدانية الخالق .

٣ — المراكز العلمية في العالم العربي والاسلامي : بغداد ، (دار الحكمة والمرصد
الفلكية) ، دمشق ، حران ، القاهرة ، تونس ، قرطبة ، مراغة .

٤ — العلوم الطبيعية البحتة والتطبيقية : (الرياضيات البحتة ، الرياضيات التطبيقية ،
الفيزياء ، الميكانيك ، الفلك ، أدوات الرصد الفلكي ، الكيمياء ، الزراعة

٥ — العلوم الهندسية والمعمارية . . : (الفن العربي فن هندسي ، العمارة العربية ،
المشاريع الهندسية في العصر العباسي ، الادوات البنائية)

٦ — العلوم الطبية والصيدلانية . . . : (الزراعة الصيدلانية للعقاقير الطب اليوناني
والطب العربي ، التشخيص والعلاج ، تطوير وابتكار الادوات الجراحية . . .)
وبعد ،

فإن الحكم الحق على التراث العربي من قبل الذين اتهموه بالعقم ، هو حكم
قاصر باطل . . . وذلك لأنهم لم يقفوا على روائعه . . . اولاً ، ولأن مباحجه الفائقة
البارعة لم تر النور بعد ثانياً . . .

وما نشر من آثاره في الطب ، والفلسفة ، والرياضيات ، والميكانيك ، والصيدلة والتاريخ ،
والفقه ، واللغة . . . ما هو الا بمثابة لمحات عابرة لآفاق وساع . . .

فهل عرف هؤلاء . . ان العرب ، تمكنوا من معرفة قياس ارتفاع الشمس ،
وارتفاع الغيوم ، وقياس طول وعرض وارتفاع الجبال الشواهد ؟ . . ولم يعرفوا من وسائل
العلم الحديث التي تمكنهم من هذه المعرفة ، كالبصريات والصواريخ وغيرها

فضلا عن ريادتهم لدراسة (السرطان) والاشارة الى أعراضه وطرق استئصاله ،
و هل عرفنا ان العرب عرفوا (النذرة) ودرس أجزاءها جمهور من فلاسفتهم ، و هل عرفنا
طرق المعالجة عندهم لطائفة من الامراض (المستعصية) ، و يحق لي — بكل اطمئنان —
ان أصرح : ان الحضارة الأوربية المعاصرة ، ما هي إلا وليد الحضارة العربية . . .
وبكشف كنوزها العلمية بالنشر مصداق قوى لما اذهب اليه . . . هذا أمر منوط بهمة
المخلصين من أبناء الأمة تحت قيادة الثورة العربية الناهضة

د. عبد الله الجبوري

المستنصرية — كلية الآداب